محمد حسن جاد «برق» (١)

أنا كنت فى الأصل فتوة، وأكبر وأشهر فتوة فى حى المناصرة وشارع محمد على، والفتوة غير البلطجى فهو يحمى الضعيف ويأخذ من الغنى ليعطى الفقير، ولهذا كان سهلا أن أصبح شيوعيا.

محمد حسن جاد «برق»

(من حواراجريته معه)

... «ذات يوم اعتدى سائق الترام على سيدة من حى المناصرة، جاءت المرأة باكية تطلب تأديب سائق الترام، سحبت كرسى من القهوة وترابيزة وقعدت بالضبط على شريط الترماى وأحضروا لى شيشة وجلست أدخن بينما توقفت قطارات الترام فى طابور طويل، وجاء مأمور القسم وظل يلح على، ثم أحضر سائق الترماى ليعتذر للسيدة.. وأفرجت عن الترام.»

ويمضى عم برق فى حكاياته «أنا فى الأساس كنت أسطى نجار مسلح وكنت أنفق كل دخلى على الجدعنة وأصحابى ومشاريب القهوة، ولم أكن أهتم بالسياسة لكننى كنت وفديا، وفى عام ١٩٣٥ هاجت شوارع القاهرة بالمظاهرات ضد تصريح المستر هور الذى قال فيه إن مصر لا تستحق الاستقلال، كنت أعمل فى بناء عمارة فى شارع سليمان باشا، وجاءت مظاهرة تهتف «يسقط هور ابن الطور» وتصادمت المظاهرة مع الجنود الإنجليز الذين أطلقوا عليها الرصاص وما أن اقترب الجنود الإنجليز من العمارة حتى وجدت نفسى ألقى عليهم عروق الخشب و«القمط» الحديد وشاركنى كل العاملين معى وهرب الإنجليز وطبعا هربت بعدها». (من حوار أجريته معه)، وفى بداية الأربعينيات أصبح عم برق أسطى ورشة النجارة فى شركة سالم سالم للأوتوبيس وكان سالم إخوانيا متعصبا وفى نفس الوقت يستغل العمال استغلالا بشعا، ونمضى مع حوارى معه «كنت

أحصل على مرتب كبير جدا جنيه وخمسة قروش فى اليوم ومع ذلك بدأت فى تجميع العمال لتشكيل نقابة، اتهمنى صاحب العمل بأننى أحرض العمال على تخريب ورشة الشركة، وسألنى وكيل النيابة عن مرتبى فصعق وقال إنه أكبر من مرتبه بكثير، ودهش كيف أضحى بمرتب كهذا، وأفرج عنى لكن الحاج سالم سالم فصلنى واتهمنى بأننى شيوعى وكانت أول مرة أسمع فيها هذه الكلمة».

ثم ينتقل فى حوارى معه إلى مرحلة جديدة فى سنة ١٩٤٥ شفت مظاهرة ضد الإنجليز فمشيت فيها ولكن البوليس بدأ يضربنا بوحشية فهجمت عليهم ولكنهم تكاثروا على وساقونى إلى قسم الموسكى، وفى الحجز شاهدت عديدا من الطلاب المتظاهرين، وسألت واحدا منهم إنت ممسوك ليه فقال «أنا شيوعى، فصحت فى وجهه هو انتم يا اولاد.. وأمسكت بخناقه» هكذا برق وجد هؤلاء الذين تسببوا فى فصله، لكن الشاب لهادئ استمر هادئا، وشرح له أهدافهم ومواقفهم وفى مساء ذات اليوم أصبح أكبر فتوت حى المناصرة وشارع محمد على شيوعيا. ويلاحقه هذا الشاب (كمال شعبان كان طالبا فى كلية الفنون قسم عمارة) بالمحاضرات يشرح له أوضاع البلد وأحواله.. وتغير الفتوة «تركت الفتونة وأصبحت أمشى فى الشارع هادئا، الناس دهشوا وكانوا يتساءلون.. هو برق جرى له إيه؟ فيرد من يعرف «أصله بقى شيوعى» ولكن «شيوعى يعنى إيه؟» ويشرح لهم برق حتى أصبح معه العديد من الأعضاء الجدد، ثم تأتى مرحلة الاحتراف الثورى ويحكى «قابلنى هنرى كورييل وبهرت بتواضعه وبساطته فى شرح أعقد المسائل، وسألنى بهدوء إيه رأيك لو تترك عملك وتصبح محترفا ثوريا؟ أجبت دون تردد: «ماشى» فسأل مرتبك كام فى الشهر؟ وقلت: ثلاثين جنيها، فقال: مش حنقدر نديك إلا ثلاثة جنيهات فى الشهر فقلت: ماشى وأصبحت محترفا».

وسألته: كم عاما سجنت؟ فإذا به يغضب قائلا: لا أحب الإجابة على هذا السؤال فلست مثل هؤلاء الذين يسجنون شهورا أو عامين أو ثلاثة ولا يتوقفون عن الحديث حول السجن والتضحيات والبطولات، أنا مناضل بسيط أديت ضريبة التزامى بالمبدأ، وألححت وألح فى الرفض وأخيرا قال: ١٦ سنة وشوية شهور».

ويمضى الحوار مع واحد من فرسان الزمان القديم، هؤلاء الذين يرحل الواحد منهم ولا يمكن تعويضه، كان يجلس أمامى هادئا يتحدث عن تضحياته وعذاباته هو وأسرته وابنه

الذى لم يره إلا رجلا، كان يتحدث كأنه قطعة من جرانيت فرعونى لا يمكن للزمان ولا السجون ولا التعذيب أن تغير ملامحها ولا قناعاتها واستمع «طبعا السجن كان صعب، وبالنسبة لى بالذات كان صعب جدا أنت لا تعرف معنى أن تترك بيتك دون لقمة خبز ودون مليم واحد، كنت آكل فى السجن وأنا أعرف أن أم حسن وحسن يجوعون بالفعل»، ويمضى «لا تقل كم سجنا سجنت فيه، ولكن قل كما سجنا لم تزره، فى الفترة من ٤٨ إلى ١٩٥٠ كان النظام حريص على توزيعنا على سجون عديدة حتى لا نجتمع معا وعلى نقل كل منا من مكان لمكان حتى لا نستطيع الاتصال بالتنظيم فزرت سجن مصر «قره ميدان» والزقازيق وطنطا والمنصورة والإسكندرية وطرة وأبوزعبل وبعدها الواحات».

ولست أدرى لماذا سألته «كم مرة بكيت يا عم برق؟» فأجاب «الراجل مش ممكن يبكى إلا إذا كانت المصيبة تهد جبل، وعلى أى حال أنا بكيت أربع مرات طوال حياتى يوم موت حسن ابنى ويوم اغتيال هنرى كورييل ويوم حل الحزب ويوم ما أصدرت كتابك عن الصحافة اليسارية وعليه إهداء لى» ويمضى فى حوار لابد أن يستكمل.